يمضي ولا يعود، متخلّياً عن عادته اليومية الملازمة له. نشعر هنا ان الرجل لم يبتعد بسبب تطوّر داخلي، بل ابتعد لأن الكاتبة ارادت له ذلك، فأجبرته على الابتعاد كي تدافع عن ضرورة احترام الذات الانسانية.

تعلن سميرة عزام، في قصصها، عن ثقتها الكاملة بالانسان وبنزوعه الأكيد نحو الخير، نزوع ينتصر على الرغم من حضور الشر، فكأن الخير قائم في النفوس، يوحّد بينها، ويخلق بينها تواصلاً، ويجعل كل نفس تركن إلى غيرها. لهذا فإن «صبي الكواء» الفقير لا يجزع عندما «يحرق قميص خليل»: «ولكنه لم يكن خائفاً، ففي حلمه رأى الأستاذ خليل يبتسم له ويطمئن جزعه ويقول: لا بأس على القميص يا رزق ما دمت حاولت ان تصير معلماً»(٢). ويمكن أن نعثر على الموقف ذاته في قصة «مؤهلات» حيث يطلب «الطبيب» من ولد فقير أن يأتي إلى عيادته كي يعيده إلى عالم الأسوياء، فيأتي جواب الولد بالرفض، ويكتفي بطلب ليرتين من الطبيب يشتري بهما عشاء لعائلته. نلمح، في هذه القصة، تلاقي الولد والطبيب في موقع الخير و«الطيبة»، الأول يذكر عائلته قبل عاهته، والثاني يعرض مهنته من اجل مساعدة الآخرين، اي ان الذات الأنانية تنقضي دوماً، ويكتسح مكانها عطاء داخلي لا يرى «الأنا» إلا في علاقاتها مع الآخرين.

كان هذا الموقف الواثق بالانسان، يدفع صاحبة «الساعة والانسان» إلى كتابة قصص أخلاقية تقترب من حدود الأمثولة الكاملة، التي تبشّر بالخير وتدعو إلى التكافل والتساعف، فكأن الأمثولة، في قلم الكاتبة، موعظة ترجم الشر ولا ترجم الانسان، لأنها تفصل بين الشر والانسان، فالشر قائم خارجه، والانسان مهما اقترب منه، فإنه يعود في النهاية إلى نقيضه، إلى عالم الخير. يظهر هذا الموقف واضحاً في قصة: «سجادتنا الصغيرة» التي تروي تواصل الخير او لنقل تجلّيه وانتشاره حتى يصبح دائرة واسعة تضمّ كل النازعين إلى الفضيلة؛ فنحن نجد، في القصة المشار إليها، رجلاً يعيد سجادة إلى اهلها بعد ان «عثر عليها» قبل خمس سنوات، يعيد السجادة بعد ان همّ بصلاته الأولى، فيتذكّر ان «متاع الصلاة» لا يخصّه: «فلما همّ بأداء صلاته الأولى اختار هذه السجادة لركوعه، إلا أنه حين فرشها وحاول ان يشرع في الصلاة أحسّ كأن هزة كهرباء ترجّ جسمه رجّاً عنيفاً. كيف يبدأ بالصلاة على سجادة مسروقة»، فما كان منه إلا أن أعادها إلى اصحابها مرفقة برسالة تحكي كيف عثر على السجادة. لا تنتهي القصة هكذا، ففعل الايمان الأول يصل إلى رجل ثان، إلى الرجل الذي استعاد سجادته، فيشرع بدوره بالصلاة، ويغدو من يومها «مصلّياً مواظباً»(٣). تعلن هذه القصة عن انتشار الخير، فالرجل الأول عثر على «السجادة»، وبقيت لديه حتى ثاب إلى صلاته، فأعطته الصلاة فضيلة جديدة، فأعاد ما عثر عليه إلى صاحبه الأول، وأعاد له فيه «صلاته الغائبة»، فاستعاد الرجل ما كان مفقوداً، وأدرك فضيلة الرجل الأول، فوصل بدوره إلى صلاته. فكأن الرجل الأول قائم في الثاني، فهما يتحاوران بلا حوار، او كأن هناك ثالثاً يخلق بينهما الحوار الصامت، فيتفاهمان ويذهبان في طريق الخير.

تشير هذه القصص إلى الوازع الأخلاقي الراقد في الانسان، والذي يستيقظ في لحظته الموائمة، فيحدد مسار الانسان ويدفعه إلى القيم الايجابية، حتى نكاد نقول: إن